

حول « لدعات بريئة ... »

توصلنا بالردين التاليين على لدعات ابن عباد احدهما للشاعر المبدع الاستاذ الشنجيبي الذي يعرف القراء تضلعه باللغة وثقافته العالية وعلمه الغزير والاخر من اديب مراكشي نرجو منه في المستقبل ان يحقق ما ينقله من الشعر وقد التزمنا بمحذف ابيات كثيرة من مقاله لما فيها من الاخطاء، ومن جملة ما تناوله الاستاذ الشنجيبي في رده مسألة النسيب التي هي محل جدال بين دعاة التجديد والمحافظين سواء في هاته الديار او في غيرها من البلاد العربية، ولعل للنسيب مغزى اعلى مما يتبادر الى ذهن كثير من الادباء، فان الاروبيين يبنون ما يكتبون من روايات وقصص دائماً على المرأة والغرام، وفي القرون الوسطى كان فرسان ابطال محبوبون

واسحق بن عمران والرازي ومن الجغرافيين أمثال ابن عبد الله البكري والشريف الادريسي وابن فضل الله العمري والمسعودي ومن المؤرخين امثال الشرهتاني وابن الجوزي وابن حسن الملهيني وابن بشكوال .

ذكر هؤلاء الفطاحل وذكر غيرهم في كتاب احتفظت به المكتبة الاروبية كتاب في جغرافية افريقيا والمغرب بصورة خاصة ولست أدري كم ذكر من الشخصيات في مؤلفاته التي ضاعت في الفنون الاخرى والتي لم تحتفظ بها المكتبة العربية أو احتفظت بها ولا زالت ملقاة في احدى الخزائن الخاصة الى أن يشاء الله إبرازها وإبراز غيرها من المخطوطات المغربية فتلقي ضوءاً جديداً على العصر المريني وغيره من العصور المغربية وما أيعن فيها من ثقافة وازدهار من حضارة فالحياة الفكرية لم تكن كحياتنا الفكرية الحاضرة ذابلة قاتلة لكل نشاط وسعي بل كانت تتدقق علماً وتفكيراً رغمًا عن الاضطرابات المتوالية والصدمات المتتابة .

سعيد حجي

« يتبع »

الوهاد والانجاد لحماية المظلومين واغانة الضعفاء ويسعون في تلك العصور المظلمة باروبا في اعلاء الحق على الباطل وللكل عشيقة قد لا يكون لها وجود الا في الخيال وتسمى برفيقة الخاطر يستوحياها البطل ويخدمها به اعماله ويقصد رضاها بما آثره، وقد ينسب غالب المؤرخين حركة الفروسة هاته باروبا الى تأثير العرب والحضارة الاسلامية التي ادخلت على اهم الغرب التي كانت اذ ذاك متوحشة الشعور بالجمال ورقة الغرام والشمم والنجدة وغير ذلك من شيم الرجولة الكاملة، وفي كتابنا « المرأة المسامة » استندنا - من جملة اشياء - على « النسيب » في الشعر العربي ثم على اقرار النبي صلى الله عليه وسلم بعض الشعراء عليه للاشادة بمكانة النساء في المجتمع العربي، فاذا كانت الشعراء يستعملون النسيب تقليداً فان للنسيب فيما يظهر اسباباً عميقة خارجة عن موضوع الجدل بين المجددين ومعارضيه وفي نظرنا القصير انه لا ضرورة في ان يتركه شعراء العصر .

النقد و « لدعات بريئة ... »

ما الشعر الا شعوري جئت اعرضه
فانقده نقداً شريفاً غير ذي دخل
وأحسن النقد ما يرضى الجميع به
وأسوء النقد ما يفضي الى الجدل

لا يخفى على ذي عقل صحيح أن النقد قسما : قسم يعرض للذوات، وقسم يعرض للمكتوبات والمنظومات، وكل له رجال يقومون بشؤونه، وقواعد ترتكز عليها مباحثه . والاول ما يسمى في لسان المحدين بالتعديل والتجريح وفي لسان الاخلاقيين بالاخلاق . والشق الثاني هو الذي صار يطلق عليه لفظ النقد كحقيقة عرفية لدى الادباء وارباب التفكير، ولا ينكر فضله في تنقية العلوم وزوال ما على الادب من دخان يخشى تكاثره حتى يستحيل سحابة سوداء تحجب الادب عن الاعين والاذان والقلوب التي تبصر وتسمع وتفقه بالفعل .

النقد يفصل الفث عن السمين، ويميز النخالة عن الدقيق، والناقد كياوي نبيل يحلل الاقوال ويفحصها كما يحلل الكيمائي المواد الطبيعية، فكلاهما محسن للانسانية ساهر على مصالحها،

فالكيمياء يسمى في تحسين مادة الانسان كما أن الناقد يسعى في تحسين روحه التي هي أغلى ما يباع ويشترى.

قد طالعنا في الاعداد الاخيرة من «مجلة المغرب» الغراء مقالتيين بامضاء (ابن عباد) تحت عنوان «لذعات بريئة» يلتزم فيها تتبع الاشعار والكتابات بالنقد الصحيح حتى يزيل الفوضى الادبية السائدة في شمال افريقيا، ويرد المنتحلات الى اربابها والمسائل الى اصولها. وهذا عمل لو تحقق من الخدمات الجليلة التي يرتاح لها البال وتشرح بسببها الصدور، لكن الرجل وبالاسف يتصور النقد بصورة تخالف ما يتصوره النقاد الحقيقيون، فيظهر لنا مرة في صورة المحدث أو الاخلاقي يبحث في شخصية الانسان، وتارة في لباس مفكر ينتحل النظريات مجردة عن الدليل، وطوراً في عمامة صوفي يحرق البخور ويهلل ويكبر، حتى اذا كتب ما شاء الله أن يكتب أخذ يناقض كلامه بنفسه، وسأقيم لك براهين على هذه الدعوى حتى يمكنك أن تلمس ما أقول خلال هذه السطور واليك بعضها:

يقول تحت عنوان (شاعرنا المطبوع): «اذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح، والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الالقاب التي يتمتع بها شاعرنا اليوم وقبل اليوم» ويقول فيما بعد: «وفي الحق أن الشاعر القباج له آيات في الشعر سابقة» فهل هذا الا ما يسمى في نظر كل ذي عقل سليم بالتناقض؟

ولعله أراد ان يلقب بالتناقض فغلط عند الرسم، قد يمكن ذلك، ويمكن انه لم يتصوره بعد، ولكن «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن» الا أنني الآن لا أقدر ان اجزم باحدهما، فنترك ذلك الى المستقبل فهو كفيلا بكل نجاح.

وبعد أن فرغ من هذا الفصل المملوء بما علمت اخذ يفكر في الكون وفي علاقة الشعر مع الشعراء فجر اذباله حتى تلونت بطين الزقاق، ثم صعد المنار وجعل ينادي بانه اخترع قاعدة يجعلها الباحث في يده كقياس يقيس بها عند الحاجة وتنفعه عند ما يحاول نقد شعر كعبد الله القباج، فأطرقنا رؤوسنا وفتحنا آذاننا وسكن الضجيج، وتشوف جميع السامعين لتلقي هذه النظرية التي يزعم قائلها انها غضة طرية لم يوفق لها من قبله وانما هي وحي الهامي اوصله له تفكيره العميق ومباحثه الممتعة فقال بصوت مملوء فرحاً

وعجبا: «فكذلك الشعر عندي تابع لحياة الانسان واطواره، يصدر ضعيفاً ثم يقوى ثم يعود الى ضعفه الأول فيظهر فيه اثر السخف والركاكة وضعف التعبير».

تقول للمخترع الجديد هل لك من دليل على هذه الدعوى وهذه العنودية؟

اننا لا نسلم هذه النظرية التي لا يعضدها فكر ولا عادة ولا يسلمها المنطق السليم، وذلك لان الشاعر كبا حنكته التجارب وقلته الايام بكفها العاتي الجبار تكثر حكمته وتقوى عاطفته وتملأ خياله الذكريات:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة

أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

قد التفتنا الى بعض الشعراء الذين شاخوا حتى سئموا الحياة فوجدنا شعرهم لم يشخ ولم ياته ابان الخريف، نستحضر منهم الآن «ذي الاصبع العدواني» فانه لما احتضر دعى ابنه اسيد فقال له: يا بني ان اباك قد فنى وهو حي وعاش حتى سئم الحياة واني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغت فاحفظ عني... ثم انه بعد ان اوصاه بوصايا عديدة انشأ يقول:

أُسيد ان مالا ملكست فسر به سيراً جميلاً
آخ الكرام ان استطعت استطعت الى اخائهم سبيلاً
أهن اللئام ولا تكن * لاخائهم جلاً ذلولاً
اب الكرام اذا تَوَّأ * خبيم وجدت لهم قبولاً
ودع الذي يعد العشي—رة ان يسيل ولن يسيل
أبني اب المال لا * يبكي اذا فقد البخيلاً
الى أن يقول:

واذا القروح تخاطرت * يوماً وارعدت الحصيلاً
فاهصر كهصر الليث خض—ب من فريسته الليلاً
وانزل الى الهيجا اذا * ابطاها كرهوا الزولاً
واذا دعيت الى المهي—م فكن لفادحه حمولاً
ويقول النابغة الجعدي بعد أن عمر في الجاهلية عمراً طويلاً ثم اسلم:

تذكرت والذكرى تهيج للفتى

ومن حاجة المحزون ان يتذكرا

نداماي عند المنذر بن محرق

أرى اليوم منهم ظاهر الارض مقفراً

تقضى زمان الوصل بيني وبينها
ولم ينقض الشوق الذي كان أكثر

الى أن يقول :

وأنا لقوم ما نعود خيلنا
إذا ما التقينا انت تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا
من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها
صحاحاً ولا مستنكراً ان تعفرا

أتينا رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
وأنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدر

ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الامر اصدرا

ويقول أمير الشعراء شوقي بك قبيل وفاته يرثي شاعر النيل
بقصيدته التي مطلعها :

قد كنت أوتر أن تقول رثائي * يا منصف الموتى من الاحياء
لكن سبقت وكل طول سامة * قدر وكل منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل * بالحق تحفل عند كل نداء
ومنها :

ما زلت تهتف بالقديم وفضله * حتى حيت امانة القدماء
جددت اسلوب الوليد ولفظه * واتيت للعالم بسحر الطاء
وجريت في طلب الجديد الى المدى * حتى اقتزيت بصاحب البؤساء
ما ذا وراء الموت من سلوى ومن * دعة ومن كرم ومن اغضاء
اشرح حقائق ما رأيت ولم تزل * أهلاً لشرح حقائق الاشياء
رتب الشجاعة في الرجال جلائل * واجلهن شجاعة الآراء

ولولا مخافة التطويل لزدت الاخ الكريم من الدلائل الواضحة
حتى يأتي مقراً ببطلان نظريته «الفتية» ، أما الاشعار التي أتيت بها
في مقام الاستشهاد فنترك أمرها للقراء الكرام يحكمون بركاتها
وضعفها أو بعذوبتها وانسجامها .

وبعد فهل نسلم له ابتكار النظرية ؟ الحق ان ذلك حل لبنتين
من الشعر الشرقي وليس بوحى الهامي نزل عليه كما يقال «من عل»
والشاعر هو الاخطل الصغير والبيتان هما :

الهُوى والشباب والامل المنشو * د توحى فتبعث الشعر حيا
والهُوى والشباب والامل المنشو * د ضاعت جميعها من يديا
يقول هذا معرضاً بشوقي في شيخوخته ، وهل يمكن في وقت
من الاوقات ان نجعل سفطة الشاعر قاعدة نعتمدها في البحوث
وخيال الشعراء مقياساً نقيس به الحقائق ؟...

وقد آن لي ان أقول لك ان الناقض نسي ايضاً ما قدمت يداها
من القاعدة التي اعتمدها قبل ، وأخذ يناقضها بعد ان ادى
النصيحة للشعراء فقال : « ولو ان شاعرنا صرف جانباً من وقته
في المطالعة والاستفادة وتبع النهضة الشرقية ويقاس فكره على
بنات افكار معاصريه ويحذو حذوهم لانتفع به الادب وربما امكن
ان يفاخر به المغرب . »

ان هذا كما تعلم دواء ناجع اكتشفه « الدكتور ابن عباد »
لاسترجاع طور ونشاط وزهرة الشباب ، فعلى من فنى جسمه
وخمدت قريحته بمطالعة الكتب التي ذكرها فانه يصير شاباً ظريفاً
يفيض شعراً وشعوراً .

وملخص ما يقول هنا ان الشعر تابع للبنة التي يعيش فيها
الشاعر يزدهر بازدهارها ويذبل بذبولها ، فليست البنة التي يعيش
فيها الشاعر المطبوع الان هي نفسها التي عاش فيها قبل والا لما
امكن ان يسفل شعره .

ومما يحسن بي ان انبه عليه ان الشاعر القباج يعترف بان
شعره الآن غيره بالامس وان انكر ذلك الاخ « ابن عباد » ولم يكن
هذا الاعتراف امام شخص واحد فقط بل بمراى ومسمع من جماعة
من ادياء مراكش واعطانا نظرية طويلة الذيل وانتقد بعض
الاشعار انتقاداً مرأً وذلك في مجلس حافل بمراكش تعرض للكلام
عليه في مقال ينحصر بحول الله .

ان الفضل الكبير في هذه الحركة الادبية النقدية يرجع للاخ
« ابن عباد » فهو الذي ايقظها بعد رقادها وقدها بعد خمودها ،
ونعلم انه لا يثنيه على عزمه ما كتبت انا وغيري ما دام يعلم
« من الف فقد استهدف » ، ولم يكن قصدي بهذه الكتابة تثبيط

عمله بل كل ما هناك انه اراد زوال الفوضى الادبية الشعرية
والكتابية وارادت زوال الفوضى الادبية النقدية ، فكلانا يريد
الاصلاح ومن افسد شيئاً اليوم فسيصلحه في الغد ، والله الموفق .
ابن تاشفين

ليس هذا بعشك فادرجي

قرأت في مجلة شعبان نقداً تحت ترجمة الشنجيطي بامضاء ابن
عباد ولا اخال ابن عباد هذا من آل عمرو ذي الطوق فقال أول نقده
ألسنا نرى الشنجيطي في قصيدته العيدية المتأخرة بمهد بالنسيب
الى أن قال وقد نفر الناس من هذه العادة وصارت منبوءة الخ
ونحن نقول له ان الناس اليوم ينفرون من الفضائل والعوائد
الحسنة بل ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نفروا من
الغزل في الشعر فأنما نفروا من منهاج مثنى عليه الشعراء في الجاهلية
والاسلام وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلكه أئمة الدين
المقتدى بهم الى يوم الدين ، دخل كعب بن زهير على النبي صلى الله
عليه وسلم قبل صلاة الصبح فثل بين يديه وأنشد :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول

متيم أثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا

الا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول

ما ان تدوم على حال تكون بها

كما تلون في أثوابها الغول

ولا تمسك بالمهد الذي وعدت

الا كما تمسك الماء الغرايل

ولا يغرنك ما منّت وما وعدت

ان الاماني والاحلام تضليل

ثم خرج من هذا الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه بردا
اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً .

ودخل شاعر المدينة فقصد الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا بأبي هريرة رضي الله عنه قد أكب الناس عليه يسألونه فقال
أفرجوا لي عنه فأفرجوا له فقال له انما أقول هذا :

طاف الخيالات فهاجا سقما
خيال لبني وخيال تكتمي
تربك وجهاً ضاحكاً ومعضماً
وساعداً عبلاً وكفأً أبرماً
فما تقول فيه فقال قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد مثل
هذا في المسجد فلا ينكره .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو أحد فقهاء
المدينة السبعة :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم
ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونم عليك الكاشحون وقبل ذا

عليك الهوى قد نم لو نفع النـم
فيا من لنفس لا تموت فينقضي

عناها ولا تحي حياة لها طعم
تجنبت اتيان الحبيب تأمناً

الا أن هجران الحبيب هو الأثم
وقال عمرو بن أذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها :

قالت وأبنتها وجدي وبحت به
قد كنت عندي تحت السر فاستتر

أنت تبصر من حولي فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصري

ووقفت امرأة على عروة هذا فقالت أنت الذي يقال فيك
الرجل الصالح وانت القائل :

اذا وجدت اوار الحب في كبدي
غدوت نحو سقاء الماء أبرد

هذا بردت يبرد الماء ظاهره
فمن لئار على الاحشاء تتقد

والله ما قال هذا رجل صالح وكذبت بل هو الرجل الصالح
ولكنه كان مصدوراً فنفت .

وقال الشيخ المحدث الفقيه الناسك عبد الله بن المبارك

زعموها سألت جارتها * وتعرّت ذات يوم تبترد

أكما تنعّتي تبصرني * عمركن الله لم لا تقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من ترد

حسداً حملته من شأنها * وقد بما كان في الحب الحسد

وقال شريح القاضي وكان من جملة التابعين والعلماء المقدمين
استقضاء علي ومعاوية رضي الله عنهما وكان زوج امرأة من بني تميم
تسمى زينب فنقم عليها فضر بها ثم ندم :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلت يميني حين أضرب زينب
أضربها في غير ذنب انت به
فما العدل مني ضرب من ليس اذنب
فزينب شمس والنجوم كواكب

إذا برزت لم تبد منهن كوكبا
ان لنا في هؤلاء اسوة حسنة دون تحويلنا عنها خرط القتاد.
ثم قال الناقد وفي بقية نسيبه لا يزال يحن ويئن الى أن قال
وأئن ينتهي من مرّ الشكوى وحرّ اللوعة يتخلص بيت لا صلة له
مع ما قبله الخ ...

صدق الناقد ولا أزال احن لهذا الوقت ومثلي في غزلي
وشكواي وتخلصي مثل المتنبي يمدح عبيد الله بن خراسان :

أظبية الوحش لولا ظبية الانس
لم غدوت بمجد في الهوى تعس
ولا سقيت الزى والمزى مخلفه
دمعاً ينشفه من لوعة نفسي
ولا وقفت برسم مسمى ثالثة

ذي ارسم درس في الارسم الدرس
صرع مقلتها سأل وجنتها
قتيل تكسير ذاك الجفن واللعس

خريدة لو رأتها الشمس ماطلعت
ولو رآها قضيب الباب لم يحس
ما ضاق قبلك خلخال على رشاً
ولا سمعت بدبيباج على كنس

ان ترمي نكبات الدهر عن كتب
ترم امرأة غير رعديد ولا نكس
يفدي بنيك عبيد الله حاسدهم

بجبهة العير يفدى حافر الفرس
وكان في اذني الناقد طينناً مما يسميه البديعيون براعة التخلص
أو حسن التخلص وهو أن يستطرد الشاعر من الغزل أو الفخر أو
غير ذلك الى مدح بمدوحه بأحسن نوع يمكنه من أنواع البديع

الظريف بمختلس ذلك اختلاصاً رقيقاً وهي طريقة اعتنى بها المولدون
دون المتقدمين مع أنها مستنبطة من كلامهم فانهم ولاه هذا الشأن
لكنهم كانوا يوثرون عدم التكلف ولا يرتكبون من فنون البديع
الا ما خلا من التعسف والطريقة التي مشى عليها غالب العرب
وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين تسمى بالاقضاب وهو
أن ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينها كأنه
استهل كلاماً آخر وها نحن نسرد لك جملة من الاقضاب وبراعة
التخلص مع نبذة أشعار مما قبل المخلص وما بعده خدمة للغة القرآن
الشريف وآدابها قال النابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحرث الاعرج
ابن الحرث الاكبر بن أبي شمر :

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل اقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض
ولبس الذي يرعى النجوم بثائب
وصدر أراح الليل عازب همه

تضاعف فيه الحزن من كل جانب
علي لعمرو نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب

حلفت يميناً غير ذي مشنوبة
ولا علم الا حسن ظن بصاحب
الى آخرها وهي طويلة ، وقال يرثي النعمان :

دعاك الهوى واستجھلتك المناهل
وكيف تصابى المرء والشيب شامل

الى أن قال في وصف عيرواته وتخلص
إذا جاهدته الشد جد وان ونت
تساقط لا وان ولا متخاذل

وان هبطا سهلا انارا عجاجة
وان علوا حزناً تشظت جنادل
ورب بني البرشاء ذهل وقيسها

وشيبان حيث استبهلتها المناهل
لقد غالني ما سرها وتقطعت
لروعاتها من القوى والوسائل

فلا يهني اعداء مصرع ملّكم
وما عتقت منهم نعيم ووائل

الى آخر المراثية المشهورة .

وقال علقمة الفحل في قصيدة مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

أم حبلى اذناتك اليوم مصرور

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته

أثر الاحبة يوم البين مشكوم

الى أن قال متخلصاً بعد وصف ظليم ونعامة الى مراده من وصف

أحوال الدنيا واختلاف الناس فيها :

يوحى اليها بانقراض وتقنقة

كما تراطن في افدائها الروم

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه

بيت أطافت به خرقاء مهجوم

تحفه هقلة سطعاء خاضعة

تجيبه بزمارة فيه ترثيم

بل كل قوم وان عزوا أو ان كثروا

عريفهم بأثافي الشر مرجوم

والجود نافية للمال مهلكة

والبخل مبق لاهليه ومذموم

وقال زهير بن أبي سلمى المزني يمدح الحرث بن عوف وهرم

ابن سنان ويذكر سعيها بالصلح بين عبس وذبيان وتحملهما الحمالة

في معلقته التي أولها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بجومانة الدراج فالتثلم

ودار لها بالرقتين كأنها

مراجع وشم في نواشر معصم

الى أن يقول متخلصاً بعد وصف الطعائن :

كأن فتاة العهن في كل منزل

نزلن به حب الفنا لم يحطم

فلما وردن الماء زرقا جمامه

وضعن عصي الحاضر المتخيم

سعى ساعياً ابن مرة بعد ما

نزل ما بين العشيرة بالدم

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوه من قريش وجرم

يميناً لنعم السيدان وجدتما

على كل حال من سجيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقال يمدح نافي السيدين السالفين :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعرى أفراس الصبا ورواحله

وأقصرت عما تعلمين وسددت

على سوى قصد السبيل معادله

الى أن ذكر في الصيد وليده وفرسه وفرقتها بين عيرواتان وتخلص

لممدوحه يتغنى بفواضله :

فرد علينا العير من دون ألفه

على رغمة يدي نساء وفائله

فرحنا به ينضو الجياد عشية

مخضبة ارساغه وعوامله

بذي مبيعة لا موضع الرمح مسلم

لبطاء ولا ما خلف ذلك خاذله

وأبيض فياض يدها غمامة

على معتقيه ما تغب فواضله

بكرت عليه غدوة فرأيته

قعود لديه بالصريم عواذله

يفدينه طوراً وطوراً يلعبه

واعيا فإ يدري ابن مخاتله

فاقصرن عنه عن كريم مرزأ

عزوم على الامر الذي هو فاعله

أخي ثقة لا يتلف الحمر ماله

ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه اذا ما جثته متهللا

كأنك تعطيه الذي انت سائله

وقال يمدحه :

ان الخليط أجد البين فانفرقا

وعلق القلب من أسماء ما علقا

وفارقتك برهن لا فكاك له

يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا

ثم قال يصف ما نحا يتغنى وياخذ غرباً فيصب ماءها للنوق في
جدول فيه ضفادع واضرب متخلصاً :
وقائل يتغنى كلما قدرت
على العراقي يداه قائماً دقاً
يجيل في جدول تحبو ضفادعه
حبو الجواري ترى في مائه نطقاً
يخرجن من شربات ماؤها طحل
على الجذوع يخفن الغم والعرقا
بل أذكرن خير قيس كلها حسبا
وخيرها نائلاً وخيرها خلقا
القائد الخيل منكوباً دوابرها
قد احكمت حكمت القد والابقا
وقوله لما اخذ الحرث بن زرقاء الاسدي ابله وراعيه يساراً
وهي من غرر فصائده
بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا
وزودوك اشتياقاً اية سلوكوا
رد القياف جمال الحي فاحتملوا
الى الظهيرة أمر بينهم لبك
الى أن يقول متخلصاً بعد وصف صقر كان يطارد قطة فالتجأت
الى مكان فتركها ونزل على مرقبة
فول عنها وأوفى رأس مرقبة
كنصب العتر دى رأسه النسك
هلاً سألت بني الصيداء كلهم
بأي جبل جوار كنت امتسك
فلن يقولوا بجبل واهن خلق
لو كان قومك في اسبابه هلكوا
يا حار لا أرمين منكم بداهية
لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك
اردد يساراً ولا تعنف عليه ولا
تمك بعرضك ان الغادر المعك
ولا تكون كاقوام علمتهم
يلوون ما عندهم حتى اذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهم
مخافة الشر فارتدوا لما تركوا

تعلمن ها لعمر الله ذا قسما
فاقدر بذرعك وانظر أين تنسلك
لئن حللت بجو في بني اسد
في دين عمرو وحالت بيننا فذك
ليأتينك مني منطق قذع
باق كما دنس القبطية الودك
وهذا آخرها لم ينث عنان القلم دونه وقال طرفة بن العبد
اشجاك الربع أم قدمه * أم رماد دارس حممه
كسطور الرق رقصه * بالضحي مرقش يشمه
واستمر يصف الرسوم الى ان تخلص لمراذه وهو استضعاف اعدائه
وهوانهم فقال
لا أرى الا النعام به * كالاما اشرفت حزمه
تذكرون اذ تقاتلكم * لا يضر معدماً عدمه
أنتم نخل نطيف به * فإذا ما جز نصرمه
وقال من قصيدة اخرى متخلصاً بعد وصف الديار وقطينها الى هجو
عبد عمر بن بشر بن مرثد وقد اطلعه على سر فشئ به الى عمرو
ابن هند
فغيرن آيات الديار مع البلى * وليس على ريب الزمان كفيل
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة * اذ الحي حي والحلول حلول
ألا أبلغا عبد الضلال رسالة * وقد يبلغ الانباء عبداً رسول
ديت بسري بعد ما قد عرفته * وأنت بأسرار الكرام نسول
وكيف تضل القصد والحق واضح * وللحق بين الصالحين سبيل
وقال عنتره ابن شداد يذكر يوم الفروق وتخلص بعد بيتين
ألا قاتل الله الطلول البواليا * وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشيء الذي لا تناله * اذ ما هوا حلولي الا ليت ذاليا
ونحن هنعنا بالفروق نساءنا * نطرق عنها مشعلات غواشيا
حلفنا لهم والخيل تردي بنا معاً * نزايلكم حتى تهروا العواليا
وقال يذكر يوماً بين عبس وبني تميم متخلصاً بعد خمسة ابيات
طال التواء على رسوم المنزل
بين اللكيك وبين ذات الحومل
فوقفت في عرصاتها متحيراً
اسل الديار كفعل من لم يذهل
لعبت بها الانواء بعد انيسها
والرامسات وكل جوف مسبل

أفمن بكاء حمامة في ابكة

فرففت دموعك فوق ظهر المحمل
كالدر أو فضض الجمان تقطعت
منه عقائد سلكه لم يوصل
لما سمعت دعاء مرة اذ دعا
ودعاء عبس في الوغى ومجلجل
ناديت عبساً فاستجابوا باللقب
وبكل ابيض صارم لم ينحل
هذه امثلة من مخلص الاقتضاب فليمدد الناقد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينظر هل يجدن من صلة بين هذه المخالصة وبين ما قبلها
واليك امثلة من حسن التخلص وهو كما قدمنا مأخوذ من كلام
الاقدمين وعقد عليه المولدون الخناصر واشتدوا في اثره حتى
أوقعهم ذلك في محالصة قبيحة ستمر بك آخر هذا الفصل قال زهير
ابن أبي سلمى

ان البخيل ملوم حيث كان ولا تكن الكريم على علاته هرم
فانظر كيف وثب هذا العربي القديم من الشطر الاول الى
الشطر الثاني وثبة تدل على القوة والرشاقة من غير اعتناء وهذا
هو الغاية القصوى عند المتأخرين ولم ياتوا باحسن منه وقال الفرزدق
وركب كاث الريح تطلب عندهم
لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم
الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آتسوا ناراً يقولون ليتها
وقد حصرت ايديهم نار غالب

وقال أبو نواس

تقول التي من بيتها خف محملي * يمز علينا ان نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بواد * جرت فجري في اثرهن عير
دعيني اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب امير
وقال :

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزع عن الغواية فليكن * لله ذاك الزرع لا للناس
واذا اردت مدح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

ومن المخالصة التي استحسناها للبحثري قوله :

رباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شيايب مجتاز عليها وقاصد
كان يد الفتى بن خاقان اقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد
ومنها لابي تمام وهو احسن للوثبة في بيت التخلص من الشطر
الاول الى الشطر الثاني :

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسي على ألف سواك تحوم
لا والذي هو عالم ان النوى * مروان ابا الحسين كريم
ومثله قوله :

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس
ومن مخالصة ابي الطيب الفائقة :

معكومة بسياط العز يطردها
عن منبت العشب يبغي منبت الكرم

وان كان مسروقاً من قول ابي تمام :

أطلع النجم تبغي ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود
ومن سحر ابي الطيب الحلال ومعينه الزلال قوله :

ومطالب فيها الهلاك اتيتها * ثبت الجنان كاني لم آتها
اقبلتها غمر الجياد كانما * ايدي بني عمران في جبهاتها
وهذه القصيدة من معجزات احمد يمدح بها أبا أيوب احمد بن
عمران المذكور بعد في قوله :

سقيت منابتها التي سقت الوري * بيدي ابي أيوب خير نباتها
وفي غزها يقول :

اني على شغفي بما في خرها * لا عف بما في سراويلاتها
وهنا يقول صاحب بن عباد كانت الشعراء تصف المناظر تنزيهاً
لألفاظها عما يستشنع حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح
وكثير من المهر عندي احسن من هذا العفاف ولكن أبا بكر
الشعراني والخوازمي روياه واعف عما في سراويلاتها جمع سربال
وهو القميص يريداني مع حي لوجههن اعف عن ابدانهم ومثله
لنفظويه :

اهوى النساء واهوى ان اجالسها * وليس لي في خنى ما بيننا وطر
والموضوع بحاله في نقد ابن عباد قدماً وحديثاً ومن مخالصة
أبي الطيب الجيدة قوله يمدح علي بن أحمد بن عامر الانطاكي

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولي كذا ومعني الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرت بالآفات حتى تركتها * تقول أمات الموت أم دعر الذعر
ولم يزل متحمساً مفتخراً على عادته الى ان قال :

ويوم وصلناه بليل كأنما * على افقه من برقه حلال حر
وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلال خضر
وغيث ظننا تحته ان عامرا * علامت او في السحاب له قبر
او ابن ابنة الباقي علي بن احمد * مجود به لو لم اجز ويدي صفر
ومن مخالصة المحمودة الحسنة كما يقول ابو البقاء العكبري
البغدادي في قصيدته التي مطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخود مني لماجد
يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
الى ان يقول متخلصاً بمدح سيف الدولة بعد مدح نفسه :
خليلي اني لا ارى غير شاعر * فلم منهم الدعوى ومعني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد
ومن مخالص ابي العلاء احمد بن سليمان ولم يكن من طلاب
الرغد قوله :

ولو ان المطي لها عقول * وحقق لم نشد لها عقالا
مواصلة بها رحلي كافي * من الدنيا اريد بها انتقالا
سالن فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير هن فالا
وخذ الان ما وعدناك به من المخالص القبيحة التي لا تعد من
البديع ليفتح ذهنك في هذا الفن قال المتنبي من قصيدته التي بمدح
بها علي بن ابراهيم التنوخي واوها :

ملك القطر اعطشها ربوعا * والا فاسقها السم النقيا
حتى قال يخاطب محبوبته ويتخلص :

اخفت الله في احياء نفس * متى عصى الاله بان اطيعا
غدا بك كل خلو مستهما * واصبح كل مستور خليعا
احبك او يقولوا جر نمل * ثبيراً وابن ابراهيم ريعا

وسبب قبح هذا المخلص انه علق انقضاء حبها على غير ممكن
وهو ان يجر النمل جبل ثبير او يخاف ممدوحه ليقدر ان كلا منها
من المستحيلات . ومن مخالصة القبيحة في قصيد مدح بها سعيد

ابن عبد الله الدلابي مطلعها :

احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا
والوجد يقوى كما تقوى النوى أبداً
والصبر ينحل في جسمي كما نحلا
لولا مفارقة الاحباب ما وجدت
لها المنابا الى ارواحنا سبلا
الى ان يقول :

ها فانظري أو فظني بي ترى حرقاً
من لم يذق طرفاً منها فقد والا
عل الامير يرى ذلي فيشفع لي
الى التي تركتني في الهوى مثلاً
أيقنت أن سعيداً طالب بدني
لما بصرت به بالرمح معتقلاً
وسبب قبحه أنه جعل ممدوحه ساعياً بينه وبين محبوبته في
الوصال ولا خفاء في دنو هذه المرتبة قال الواحدي هو من قول
أبي نواس :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد
هواك لعل الفضل يجمع بيننا
وقول أبي نواس أحسن من قول المتنبي لأن الجمع يمكن بأن
يعطيه ما يتوصل به الى محبوبته والشفاعة تكون باللسان وذلك نوع
قيادة على أبي سمعت العروضي يقول سمعت الشعرا فيقول لم أسمع أبا
الطيب ينشده الا فيشفعني من قولهم كان وتراً فشفعته بآخر والى
آخر فيكون كقول أبي نواس ويقول كاتبه محمد البيضاوي الشنيطي
عفا الله عن الواحدي فلم لا يقول أن قول أبي نواس أقل قبحاً من
قول المتنبي فلا خير في القولين ولا حسن في واحد منها حتى
يتفاضلا فيه .

وقد سبقها الى هذا قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت
غيره فندم على ذلك وشبب بها في كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق
فسعى في طلاقها من زوجها وأعادها الى قيس فقال بمدحه :

جزى الرحمن أحسن ما مجازي * على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت أخواني جميعاً * فما ألفت كائن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأي حدث فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي * اغصني حرارتها بريق

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس يا حبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعك أحد الا ظنني ساعياً وقد عصم الله شعر العرب الاقدمين من مثل هذه الخالص لقله ما يسمى حسن التخلص في أشعارهم لسيرهم على مخلص الاقتضاب كما أسلفنا ومخلصنا يصح فيه الاعتباران اذا نظرت الى الموعظة قبله في قولنا وان في اللحية الشمطاء لي نذراً فهو دعاء واحتماء برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاعتراف بالذنب والعظة فهو براءة تخلص وان قطعت النظر عما قبله فهو اقتضاب ولا مشاحة في الاصطلاح وهذا الذي كتبنا لك هو الشعر الذي يتعين حفظه ودرسه ليفهم المغربي المسلم وغيره من أبناء الاسلام الكتاب المبين والحديث الشريف وليحصل له ذوق سليم وملكة جيدة يقول فيعرب ويكتب فيعجب وينظم فيطرب وأما ما يحض عليه الناقد من تقليد أهل هذا العصر في كتابتهم وشعرهم فانا نعتقد انه مخطئ فيه لانهم أجهل من عرفنا في التاريخ باللغة العربية على الاجمال وبضاعتهم منها انما هي الترجمة التي بلغوا فيها شأواً بعيداً لضرورة الحال وكثرة الاستعمال فرسائلهم وقصائدهم لا تكاد تجد فيها من الجمل العربية ومفرداتها الا ما هو مترجم عن السنة الاعاجم وكفاك دليلاً حافظة الناقد العامة بكلمات الذوق العصري ومعجزة الفن ودقة التصوير وموقف الجلود وتخدير الاعصاب الى نحوها مما يدور عليه قلعه وكم من مترجم بارع في مهنته فاذا خرجت به عن دائرتها وقف لا يحسن خطاباً ولا يحير جواباً كقاض ماهر في الفروع التي تقع بين اثنين اذا سئل عن مسألة سهو مثلاً قال ما سمعت بهذه في الفقه قط وهكذا الناقد فانه لما خرج عن ألفاظ دقة التصوير وتخدير الاعصاب وأخوانها وأراد أن يقرأ الشعر وينقده نقداً علمياً عربياً التبت عليه الابنية والحروف واختلط حابله بنابله فقرأ احل في قولنا :

لما احل برأسي قلت مزدرى * الشيب في الرأس لا يستلزم الكبرا
مبنياً للفاعل وازناً له على ألم في قول البوصيري .

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى

ضيقي ألم برأسي غير محننم

وقال ان احل بمعنى وجب أو خرج ولا يقبله الوزن ولا المعنى . ونحن نقول له ان احل في بيتنا مبني للمفعول بضم همزة وكسر حائه بحركة ما قبل الاخر المدغم وهو من أحله المكان وأحله به

اذا أنزله فيه وليس معناه وجب ولا خرج ومنه قوله تعالى : « الذي أحلنا دار المقامة من فضله » وقول قيس بن الخطيم :

ديار التي كانت تحل على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب

ولاحل معاني اخرى يصح بناؤه للفاعل اذا اعتبرت منها ما في حديث النخعي أحل بمن أحل بك ومنها قول امية بن الصلت غيوث تلتقى الارحام فيها * تحل بها الطروفة واللجباب

ولكننا لم نقصدها وبنيناه للمفعول اسناداً للفاعل الحقيقي الذي هو الله تبارك وتعالى عند شعراء الاسلام الموحدين ثم اسندنا الى المجازي في البيت بعده

فانحط في عارضي بهوى الى ذقني * وان في اللحية الشمطاء لي نذرا على حد قول أبي النجم في الاسناد للمجازي أولاً وللحقيقي آخرأ

قد أصبحت أم الخيار تدعي * عليّ ذنباً كله لم اصنع من ان رأيت رأسي كراس الاصلع * ميز عنه قزعا عن قزاع جذب الليالي ابطني أو اسرعي * افناه قيل الله للشمس اطلعي حتى اذا وارك افق فارجمي

وقرأ قولنا في ابيات مكناس

وماؤها السلسيل العذب باكره

ريح هو المسك انفاس فانفاس

بباء جر بدل فاء العطف فكتب انفاس بانفاس وقال ان الاقواء ظاهر في القافية الاخيرة فنقول له ان هذا البيت ليس هو الاخير فليقرأ بعده على شرط ان لا يحرف قولنا في مدح صفينا النقيب ابن زيدان

يكني مدينتها أن الكبير بها

يضيء من علمه الفياض مقباس

الى روائح من اخلاقه عبت

ما الرند منها وما الريحان والاس

والايات في الجزء الاول من تاريخ الشريف المذكور بصحيفة

٢٤٦ لا اقواء فيها ولا ابطاء ويظهر ان الناقد بمن لم يأخذوا

العلم عن الشيوخ فهو يلتقط ما يجمده في الكتب والصحائف من غير تمييز بين الخطا والصواب واستغفر الله لي وله ولسائر المسلمين.

محمد البيضاوي الشنيطي